

النسق الذكوري والأنثوي

في رواية موسم الهجرة إلى الشمال للطيب صالح

**The masculine and feminine style
in the novel Season of Migration to the North by Tayeb Salah**د. آسية داحو^{*1}¹ جامعة لونيبي علي البليدة 2، (الجزائر)، assiadahou@yahoo.com

تاريخ الاستلام: 2024-03-23 تاريخ القبول: 2024-05-01 تاريخ النشر: 2024-06-01

ملخص البحث

عرفت الدراسات النقدية تطورا مذهلاً، محاولة في كل مرة تقديم نشاط قرائي يهدف إلى فهم المنجز الإبداعي، ومع ظهور فلسفات ما بعد الحداثة أضحت كل نص في جمالي يطن غير ما يظهر، ومرّد كل ذلك إلى تفعيل آليات التماهي والتورية ليحشو نصّه أنساقاً ثقافية، وهو ما تلمسته في رواية "موسم الهجرة إلى الشمال" لصاحبها "الطيب صالح" كنموذج للرواية العربية المعاصرة.

كلمات مفتاحية: الذكوري، الأنثوي، النسق، الثقافة.

Abstract:

Critical studies have witnessed an amazing development, each time trying to present a reading activity aimed at understanding the creative achievement, and with the emergence of post-modernist philosophies, every aesthetic artistic text has hidden something other than what it appears, and all of this is due to the activation of the mechanisms of identification and puns to fill its text with cultural patterns, which is what I sensed it in the novel "Season of Migration to the North" by its author, Tayeb Salih, as a model for the contemporary Arabic novel.

Keywords: Masculine, feminine, style, culture.

1. مقدمة:

نالت الرواية العربية حضوراً كبيراً من قبل النقاد في العصر الحديث، لما تعالجه من موضوعات وقضايا جديدة، تمس عمق المجتمع وكيان الإنسانية حيث تعمقت في التعبير عن الرؤى والتصوات، والانفعالات والاحباطات والنجاحات من خلال إبراز مختلف الأنساق الثقافية، التي تكشف عن العلاقة القوية بين الرواية والمجتمع، وقد نالت الرواية العربية اهتماماً لما تضمنته من قضايا يعاني منها المجتمع ويحاول معالجتها والخروج منها من خلال الولوج إلى العالم بطريقة غير مباشرة وذلك بتضمين رواياتهم في مختلف الأنساق الثقافية، التي اعتمدها الروائيون كشكل من أشكال المقاومة والمواجهة والهروب والهيمنة والتصدي للفكر الكولونيالي والاستبداد، بغية معالجة مختلف الضغوطات التي يعاني منها المجتمع وخاصة الإيديولوجية منها.

وإذا كان النص الإبداعي محملاً بالقيم الثقافية فإن الرواية بصفة خاصة وباعتبارها شكلاً من أشكال الثقافة تزخر بأنساق ثقافية عديدة، ولعل رواية "موسم الهجرة إلى الشمال للطيب صالح" باعتبارها نموذجاً قد وظف فيها الروائي عدة أنساق ثقافية لنكتفي في هذه الدراسة التطرق للنسق الذكوري والأنثوي، وعليه أين يتجلى النسق الذكوري والأنثوي في رواية موسم الهجرة إلى الشمال للطيب صالح؟

2. مفهوم الثقافة

لغة: ورد في لسان العرب مادة: (ث ق ف) "ثقف الشيء ثقفاً ثقافاً وثقوفه، حدقه (...) رجل ثقف ولقف وثقيف لقيف بين الثقافة واللّقافة، وثقف الرجل ثقافة أي صار حاذقاً خفيماً ومنه المثاقفة وثقفنا فلاناً في موضع كذا أي أخذناه منه". (1) قوله تعالى: ﴿وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ تَقَفْتُمُوهُمْ﴾ (2)

وقوله تعالى أيضاً: ﴿إِنْ يَتَّقُواكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً وَيَسْطُورُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتُهُمْ بِالسُّوءِ وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ﴾ (3)

ومنه قول الشاعر: فإمّا تَتَّقُونِي فَأَقْتُلُونِي *** فَإِنْ أَتَقَّفَ فَسَوْفَ تَرَوُنَّ بَالِي

والثقاف والثقافة العمل بالسيف (...) والثقاف جديدة تكون مع الأقواس وارما حبها الشيء

المعج. (4)

أما اصطلاحاً: فتعريفها متعدد، حيث نجد العديد من النقاد سواء العرب أو الغرب. أما عند العرب فنجد سلامة موسى أول من أطلق لفظ ثقافة معناه الأوروبي كمقابل للفظ (CULTURE) في اللغة العربية، تأثر بالمدرسة الألمانية في ربط الثقافة بالأمور الثقافية الذهنية فالثقافة هي إدراك الفرد والمجتمع للعلوم والمعرفة في شتى مجالات الحياة. فكلما زاد نشاط الفرد ومطالعه واكتسابه الخبرة في الحياة زاد معدل الوعي الثقافي لديه وأصبح عنصر في بناء المجتمع. (5)

الثقافة على حسب محمد علي حسن غامري: (هي كل ما تتعلمه من الآخرين، وتضيفه إلى الثقافة ولذلك أشار إلى "تايلور" إلى هذه العملية بكلمات المعتقدات، والعادات المكتسبة بفعل الإنسان). (6)

بالنسبة للمنظور الغربي نجد "إيجلتون" يعرف الثقافة على أنها: (ليست فقط في ما نعيش به، إنها أيضاً وإلى حد كبير ما نحيا من أجله، الوجدان، العلاقة، الذاكرة، القرابة، المكان، المجتمع، الإشباع العاطفي، البهجة الفكرية)، فالثقافة هي ليست مجرد حزمة من أنماط وسلوك وطرق العيش إنما هي منفتحة على كل ما نحيا وما نعيش لأجله. (7)

إدوارد تايلور في كتابه الشهير عن "الثقافة البدائية" قدم تعريفاً متكاملًا للثقافة بحيث وصفها بأنها جميع الجوانب الروحية والمعرفية والإبداعية التي يتشكل بها الإنسان كعنصر من عناصر المجتمع، (8) ومما سبق، يمكننا تعريف الثقافة:

- أنها رؤية شاملة تشتمل على المعرفة، الفن، الأخلاق، القانون، الأدب.
- أنها مجموعة من العادات والأفكار التي يحتضنها أفراد المجتمع.
- أنها تنظيم يقوم على التفاعل الاجتماعي بين الأفراد، ووظيفتها توجيه سلوك هؤلاء الأفراد.

3. مفهوم النسق

لغة: في كتاب "لسان العرب"، ذكر ابن منظور مفهوم النسق قائلاً: "النسق هو في جميع الأمور، ويظهر كنظام عام وتنظيم شامل لكل شيء حسب نهج محدد". (9)

وردت كلمة "نسق" في معجم الوسيط بمعنى نظم الشيء بشكلٍ منسق، حيث يُقال: نسق الدر ونسق كُتبه، والكلام تربطه عبارات عطف. ويُعبر عن "النسق" بأنه ترتيب شيء ما على نظامٍ

محدد، يُقال: جاء القوم نسقًا وزرعت الأشجار نسقًا. ويُقال: شعر نسق ودر نسق، ويُعبر عن "حروف النسق" بأنها حروف العطف.. (10)

وبالتالي فإنّ الدلالة اللغوية لمصطلح الأنساق يمكن تحديدها في اللغة بأنظمة الأشياء أو تتابعها وتاليها في نظام واحد.

أما في الإصطلاح: يرى عبد الله الغدامي أنّ استخدام كلمة (النسق) كثيراً في الخطاب العام والخاص، تُستخدم كلمة "النسق" بشكل شائع، حيث يمكن أن تُعرض للتشويش، تبدأ بتعريف بسيط يعني تنظيم معين على نظام واحد، (البنية - Structure) أو معنى (النظام - System) حسب كما هو موجود في المعجم الوسيط، وقد تُستخدم كمرادف لمعانٍ مثل البنية أو النظام حسب مصطلح ديسوسير. عمل باحثون عرب على تطوير مفهومهم الخاص للنسق. (12)

أما مفهوم النسق عند جميل حمداوي فهو "نظام متكامل ومترابط من الأبنية النظرية التي يكوّنها الفكر حول موضوع ما، ويدلّ النسق أيضاً مثل النسق النيوتي في الفيزياء، يتألف النظام العلمي الكامل من مجموعة من الأصول والقوانين والاستنتاجات والحقائق التي تشكل نظريّة سليمة". (13)

كما يذكر محمد مفتاح أنّ "النسق هو ما يتولد على مجرى واحد وفق نظام واحد، وتتابع وترايط العناصر وتاليها في نظام واحد، وقد لا يتعد معنى النسق في معناه اللساني عن النسق التقدي يتألف من مجموعة من العناصر أو الأجزاء التي تترايط ببعضها مع وجود تمييز واضح بين كلّ عنصر وآخر في المعنى التقدي". (14)

يمكننا القول: النسق هو عنصر يتمتّع بنظام وانتظام، ودوره جامع يعمل على توحيد جميع عناصر البيئة.

4. مفهوم النسق الثقافي

يطرق عبد الله الغدامي تعريفاً في شروحه التقدي الأنساق الثقافية من خلال تحديد وظيفته أولاً، (النسق يظهر بأدائه، وليس بتواجده الجرد. تظهر القواعد النسقية فقط في سياق معين ومحدد، عندما تتناهي نسقين أو نظامان من الخطاب، حيث يكون أحدهما ظاهراً والآخر مضمراً. يكون النص المضمّر تناقضاً ومُلغياً للظاهر، وذلك يكون موجوداً في نفس النص. يتطلب النص أن يكون له

جمالية واسعة النطاق. الجمالية هي الجمال الذي تعتبره الجماهير جميلاً، والذي يُعتبر مرئياً بأدائه، وليس بتواجده المجرّد). (15)

يقدم عبد الفتاح أحمد يوسف تعريف مباشر للأنساق الثقافية: " هي تشريعات وقوانين أرضية، فهي تقابل التشريعات السماوية التي جاءت بها الأديان جاءت لتضبط تصرفات الإنسان وتنظم حياته، (16)."

ونرجع إلى عبد الله الغدامي في تعريفه لمصطلح النسق الثقافي في قوله الأنساق الثقافية، تُعتبر جذور تظل ثابتة وتاريخية، تحتل مكانتها الدائمة. علامتها؟ إقبال الجماهير على استهلاك الإبداع الثقافي الذي يتضمن هذا الأسلوب. يتجلى ذلك في الأغاني والموضة، والقصص والأمثال، فضلاً عن الشعر والأمثال... الخ فتُعد هذه الوسائل فناً جمالية تعتمد على المجاز، وتحمل في طياتها جوانب ثقافية. نحن نستقبلها بتفهم وتقبل، لتتسجم مع لغة خفية محفورة في أعماقنا. (17)

5. أنواع الأنساق الثقافية

1.5 النسق الديني: من أشهر التعريفات وأكثرها تداولاً لمصطلح "الدين" ما نسب للتهانوي في قوله "هو وضع إلهي يقود العقول نحو الصلاح والفلاح تعتمد على اختيارهم، سواء في الدين أو في الحياة اليومية، وقد يكون هذا خاصاً بجميع الأديان، ولا سيما الإسلام كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَلَدِينَ عِنْدَ اللَّهِ أَلْإِسْلَامُ ۗ﴾ ويضاف إلى عز وجلّ لصدوره عنه وإلى النبيّ لظهوره منه وإلى الأمة لتدبيرهم وانقيادهم له". (18)

فالدّين هو تلك العلاقة الرّوحية بين الخالق والعاقد والخضوع والاعتقاد والإيمان بتلك القوى الغيبية. 2.5 النسق الاجتماعي: يعدّ عالم الاجتماع الأمريكي "تالكوت بارسونز" أول من تطرّق إلى تعريف النسق الاجتماعي يقول: " هو نظام يتجلى فيه أفراد نشطون يتحدد أسلوب تفاعلهم بناءً على تصوراتهم ومهامهم المستمدة من المعايير الثقافية المتفق عليها. (19)."

وعليه النسق الاجتماعي عنصر له نظام وانتظام ووظيفة تعمل ضمن وظيفته جامعة لكلّ عناصر البيئة.

3.5 النسق السياسي: شكّلت السياسة بتنوعها محوراً هاماً شغل الأدباء والرّوائيين الجزائريين إذ كانت حاضرة بشكل ملفت للانتباه في نصوصهم السردية عبر مختلف الحقب والمراحل خاصة في

فترة التسعينات التي دخلت فيها البلاد في أزمة سياسية صبغت بالدموية، كانت مادة دسمة لهؤلاء المبدعين طرحوا من خلالها أفكارهم وتوجهاتهم وثقافتهم على اختلافها، فمنهم من صرّح بأفكاره وتوجهاته بشجاعة ومنهم من أضمرها واستعمل الرمز والإحالات.

" لقد أصبحت السياسة متحكمة في حياة الإنسان المعاصر كلّها ومسيطرّة على فضاياه المصيرية ومتغلغلة في جميع شؤون الحياة دقيقتها وجليلها، وترتّب عن ذلك أن تغلغت في الأدب عمومًا وفي الرواية خصوصًا، وأصبحت معظم الروايات تحمل دلالات سياسية حتى وإن لم تشر إلى ذلك". (20)

4.5 النسق الأنثوي

لغة: "الأنثى: من كل شيء هي خلاف الذكر، والجمع إناث، المرأة سمّيت أنثى لأنّ المرأة ألين من الرجل وسمّيت أنثى لأنها لينه". (21)

اصطلاحًا: يهتم مصطلح الأنثوي بالفروق البيولوجية للفصل بين الذكر والأنثى والتعامل معها انطلاقًا من أحكام مؤسسة على تقاليد ذكورية متمركزة، فالاختلاف الجنسي مصدر قوّة لا مصدر دونية. (22)

كلمة أنثوية تستعمل للإشارة إلى ما تفرضه المبادئ الثقافية والاجتماعية من أنماط الجنس والسلوك وهي تشير إذن إلى الثقافة بمعنى مجموعة الصفات المحددة ثقافيًا واجتماعيًا وتاريخيًا. (23) ومنه فإنّ الأنثوي يشير إلى مجموعة من الصفات المحددة ثقافيًا واجتماعيًا وتاريخيًا المفروضة على النساء ككل.

5.5 النسق الذكوري: عندما نجد تسميات عدّة كالرجولة والفحولة والتذكير، تطلق على أبناء آدم هذه التسميات لا معنى لها دون وجود الطرف المقابل لها ألا وهو الأنثى (المرأة) التّصف الثاني المكمل للبشرية، نجد أنّ الذكر خلاف الأنثى، وذكر الشيء حفظه واستحضره وتذكّره، وجرى على لسانه بعد نسيانه.

فالدكورة جاءت من الذكر يقال رجل ذكر: قويّ شجاع، وقول ذكر صُلب متين، وشعر ذكر فحل، والدكورة خلاف الأنوثة. (24)

عزّزت فكرة الذكورة في الإنسان مبادئ كثيرة منها ما يتجاوز بها المعقول والسليم فهو كما يرى "عبد الله الغدامي": "نسق متحذر في الوجدان الثقافي، ممّا ربي صورة فحل الفحول الطاغية الأوحده (25)

5.6 النسق المكاني: لقد تعدّدت التعريفات حول مفهوم المكان، وذلك لأهميته الكبيرة في تشكل البناء السردي، فقد شغل أهمية كبيرة لدى النقاد والأدباء.

يعرّف الباحث السيميائي "يوري لوتمان" المكان بقوله: "هو مجموعة من الأشياء المتجانسة (من الظواهر، أو الحالات، أو الوظائف، أو الأشكال المتغيرة... إلخ)، تقوم بينها علاقات شبيهة بالعلاقات المكانية المألوفة (مثل الاتصال، المسافة ... إلخ)". (26)

وفي تعريف آخر: "المكان وسط يتصف بطبيعة خارجية أجزائه، إذ يتحدّد فيه موضع أو محل إدراكاتنا وهو يحتوي على كلّ الإمدادات المنتهية، وأنّه نظام تساق الأشياء في الوجود ومعيتها الحضورية في تلاصق وممارسة وتجاور وتقارن". (27)

فيمكن القول أن المكان نظام من العلاقات الوثيقة فضلاً عما يوصله من الإحساس بمغزى الحياة، من خلال وظيفته كونه مركزاً للحدث وعنواناً للشخصية يبرز سماتها وانتماؤها الاجتماعي فضلاً عن تحميلة للأفكار والمشاعر، كما أنه يؤثر ويتأثر منذ بدايته إلى نهايته.

7.5 النسق الغيري (الأنا والآخر)

تشكّل العلاقة بين "الأنا والآخر" جدلاً قائماً في الثقافة والإبداع، وهي علاقة متواشحة تقوم في الواقع الإنساني العام على أساس التعارض يصل في كثير من الأحيان إلى درجة التّضاد، وقد طغت هذه التّناقضات في الأعمال السردية العربية انطلاقاً من الشّعور بضياح الهوية لتبدأ في البحث عن ذاتها المفقودة أمام الآخر المسيطر عالمياً، الذي يشكل وجود ضرورة في حياة الأنا الجماعية.

يرى سارتر أنّ وجود الغير ضروري من أجل وجود الأنا ومعرفته لذاته، ومن هنا فالغير عنصر مكوّن للأنا ولا غنى له عنه في وجوده، غير أنّ العلاقة الموجودة بينهما هي علاقة خارجية وانفصالية ينعدم فيها التّواصل مادام يعامل بعضهما البعض كشيء وليس كأننا آخر. (28)

"إنّ الآخر هو المختلف في الجنس أو الانتماء الدّيني أو الفكري أو العرقي، وتتنّضح إشكالية الأنا (العربية، الإسلامية) والآخر الغربي بسبب سوء التفاهم والمواجهة السياسيّة والعسكريّة، أمّا علاقة

الذّات به من النّاحية التّفاقية والاقتصاديّة والتّقنيّة، فقد بدت ضرورة لا يمكن الاستغناء عنها". (29)

"إنّ الذّات تتشكّل ويعاد تشكيلها في المواجهة مع الآخر، وإنّ استجابة الآخر هو ما يساعد على تكوين الذّات والتعرّف على الآخر مرّة أخرى، وحتىّ يتمكّن من الرّد سواء بالقبول أو الرّفص، فرغبة الإنسان مرتبطة برغبة الآخر، لأنّ الآخر يمكّن مفتاح الموضوع المرغوب فيه". (30)

من خلال هذا القول نرى أنّ الذّات ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالآخر، فلا وجود لذات دون وجود الآخر، فالآخر هو الرّكيزة الأساسيّة في تكوين الذّات الإنسانيّة، فالإدراك الحقيقيّ لأننا مرتبطون بالاختلاف مع الآخر.

6. التّسق الأنثوي في رواية "موسم الهجرة إلى الشمال" للطيب صالح

احتل وجود المرأة مساحة كبيرة من الاهتمام في ميادين مختلفة، انطلاقاً من معطيات اجتماعية، دينية وسياسية، حيث استطاعت المرأة أن تثبت وجودها كعنصر فعّال في المجتمع فهي تبقى النّصف الآخر فيه الذي يدعو إلى النضال من أجل إثبات الذّات والتحرّر بالعلم والعمل.

لقد تجسّدت صورة المرأة في رواية "موسم الهجرة إلى الشمال" في شخصية "حسنة بنت محمود" أرملة مصطفى سعيد، من الواضح أنّ هذه الشخصية طيبة وذات أخلاق، يتجلّى ذلك في الرواية من خلال هذا القول: "امرأة نبيلة الوفقة، أجنبية الحسن" (31)؛ اختيار الطيب صالح اسم حسنة لم يكن عفويًا فهي ذات وجه مشرق الذي رفض القوالب الاجتماعيّة لرفضه الظلام والظلم، فنلاحظ أنّ حسنة حاولت تغيير هذه القوالب فدفعت الثمن مفضلة ذلك على وعندما فشلت في محاولتها هذه، ظهرت قوة هذه الصور النمطية وتغلغلها في المجتمع السوداني (العربي) من خلال النتائج المأساوية لمقتل وانتحار

أما التّسق الثّاني الذي نجده في الرواية هو "السيدة روبنسن" التي عرفها مصطفى سعيد في القاهرة، (إليزابيث) المرأة الغربيّة التي كانت أمّه الرّوحيّة "كان صدرها الوحيد الذي أسند رأسي عليه، ربّيت على رأسي وقالت: لا تبكي يا طفلي العزيز" (32).

من خلال هذا القول يبيّن لنا الرّواي أنّ السيدة روبنسن أقامت معه علاقة حبّ إنسانيّة، لقد أحبته كجزء من الشّرق، وكانت تحنّ عليه كأنّه ابنها.

ونجد أيضًا: "آن همند" التي تعرّفت على مصطفى سعيد لأنه جعلها تحس بالشوق والحنين من خلال أشعار أبي نواس حينما قال: "قرأت لها من شعر أبي نواس:

أَمَا يَسْرُوكَ أَنَّ الرَّرَضَ زَهْرَاءُ *** وَالْحَمْرُ مُمَكِّنَةٌ شَمَطَاءُ عَذْرَاءُ

مَا فِي فُعُودِكَ عَذْرٌ عَن مُعْتَقَةٍ *** كَاللَّيْلِ وَالِدُهَا وَالْأُمُّ خَضْرَاءُ

بَادِرٍ فَإِنَّ جِنَانَ الكَرِّخِ مَوْنِقَةٌ *** لَمْ تَلْتَقِفْهَا يَدٌ لِلْحَرْبِ عَسْرَاءُ (33)

آن همند أخذت شخصية (سوسن) بينما أخذ هو شخصية السيد، وانتحرت في النهاية انتحرت بالغاز وتركت ورقة صغيرة باسم مصطفى سعيد كتبت عليها "مستر سعيد، لعنة الله عليك" (34).

ثمّ يصور لنا الروائي شخصية "شילהا عربنود" خادمة في مطعم في سوهو "فتاة ذكية تدرس ليلا وتعمل نهارا، لا تؤمن بالفروق والناس كلهم سواسية واخوة" (35)، رغم أنّها لا تبالي فهي تعترف أنّها بنت المجتمع المعادي الرّافض للشرق "أمي ستجنّ، وأبي سيقتلني، إذا علما أنّي أحبّ رجلاً أسود، ولكنني لا أبالي" (36).

فهي المرأة أغراها مصطفى سعيد فأحبته: "دخلت غرفة نومه بتولا بكراً، وخرجت تحمل جرثومة المرض في دمها" (37)، وبعدها انتحرت بسبب مصطفى سعيد.

كذلك نجد شخصية "إيزابيلا سيمور" التي تختصر أوصافها في قول الروائي: "مستديرة الوجه تميل

إلى البدانة" (38)، ومن الواضح أنّ هذه الشخصية طيبة وذلك من خلال هذا القول: "طيبة

ومتفائلة بالحياة" (39)، فهي زوجة وأمّ وهذا يظهر من خلال قول الروائي: "زوجة جراح وأمّ

لبنتين" (40)، فكانت امرأة متحفظة وكريمة "لا تتردد إلى الكنيسة كل يوم كما تساهم في

الجمعيات" (41)، فأحبّت مصطفى سعيد مضحية بأسرتها فسعادتها لم تكن طويلة فانتحرت هي

كذلك وتركت له رسالة كتبت عليها: "إذا كان في السماء إله، فأنا متأكّدة أنّه سينظر بعين

العطف إلى طيش امرأة مسكينة لم تستطع أن تمنع السعادة من دخول قلبها، ولو كان في ذلك

إخلال بالعرف وجرح لكبرياء زوج، ليساعني الله، وبمنحك من السعادة مثل ما منحني" (42)،

ويقال أنّ سبب انتحارها هو إصابتها بالسرطان.

ونجد أيضا العشيقة الرابعة لمصطفى سعيد التي هي "جين موريس" جاءت أوصافها في هذا القول: " لها عينان واسعتان، ، الأنف كبير نوعا ما، والفم يميل إلى الاتساع والتعبير على الوجه شيء يصعب في كلمات (43).

يدلّ وصف الرّوائي لهذه الشخصية أنّها فائقة الجمال، فجين موريس هي المرأة التي طاردها "مصطفى سعيد" لم تكن كغيرها، امرأة من نوع آخر، جريئة، عنيفة، لا تعرف الرّومانسية، أذقت مصطفى الإهانة، حتّى أنّها كانت تحتقر شكله "أنت بشع لم أرى في حياتي وجها بشعًا كوجهك" (44)، إلاّ أنّه لم يملّ من مطاردتها، وفي الأخير قتلته بسبب معاملتها السيئة له، وأهانته بأنّه إفريقي أسود وأنّها تستطيع الاستغناء عنه متى شاءت.

نجد كذلك نسقا أنثوي آخر ويتجسد في شخصية والدة البطل "مصطفى سعيد"، تلك الأم التي ألغيت شخصيتها ووجودها من الساحة الاجتماعية، وفقدت سلطتها على ابنها بمجرد وفاة زوجها، وهذا يتضح في قولها لابنها وهي تودعه للسفر: "لو أنّ أباك عاش، لما اختار لك غير ما اخترته لنفسك، افعل ما تشاء، أو ابق، أنت وشأنك، إنّها حياتك، وأنت حرّ فيها" (45).

وفي الأخير نستنتج أن النساء الأربعة (آن همند، شيلا غرينود، إيزابيلا سيمور، جين موريس) كانوا ضحايا "مصطفى سعيد" كلّ واحدة منهمّ يقيم علاقة جنسية معها ثمّ يتركها لينتهي الأمر بها إلى قتل نفسها بنفسها إلاّ جين موريس يضطر إلى قتلها، فسلوك "مصطفى سعيد" كأنّه ردّ فعل وانتقام من الغرب وردّ الاعتبار الشرق.

7. النسق الذكوري

لقد طغى النسق الذكوري في رواية "موسم الهجرة إلى الشمال" للطيب صالح، حيث نحاول أن نستخرج الأنساق الذكورية من هذه الرّواية فنجد:

الشخصية الأهم هي "مصطفى سعيد" فهو بطل الرّواية، فهو شخصية عجيبة، غريبة الأطوار، متنوعة الأبعاد، وشديدة التوتر، يتحلى ذلك من خلال ما عاشه في حياته "مصطفى سعيد من مواليد الخرطوم 16 أوت عام 1898 ... الأب متوفي، الأم فاطمة عبد الصادق" (46) فوالده توفي قبل أن يولد ولم يبق له إلاّ أمه التي "كانت شخصا غريبا جمعني به الظروف في الطريق صدفة" (47) هذا ما جعله يحسّ أنّه مختلف لا يؤثر به شيء، وعندما يكبر يقرّر الالتحاق

بالمدرسة للتعليم، هو كان شخصاً كثير التأمل والإثارة وأظهر للجميع مدى تفوقه ودكائه الذي كانوا ملفتين للنظر، ورأى فيه المعلمون أنه معجزة نظراً لنبوغه وتفوقه في المدرسة، حتى تحوّل إلى أسطورة يحكي عنها الكثيرون.

ونجد كذلك الراوي هو أيضاً شخصية رئيسية بعد "مصطفى سعيد"، يعد الراوي مجهول الاسم قريبته (ود حامد) الواقعة قرب نهر النيل، في السودان، بعد مرور سبع سنوات قضائها في لندن لغرض الدراسة، كان وكأنه لم يفارق قريبته " إذ ما كاد يحلّ بها فتشرق عليه شمس إفريقيا " (48).

إلا أنه لم يشعر بالراحة في بادئ الأمر لتعوده على الحياة الغربية، ولكن ما إن وصل غمره الحنين لدفاء العشيرة من جديد فأزاح من عينيه تلك السنوات " فأقبل ذاكرته على إقامته الطويلة بالغرب حتى كأنها لم تكن " (49)، فالراوي كان يمثل الجيل الثالث في الرواية.

نجد أيضاً شخصية الجدّ (جد البطل الراوي) الذي كان له أثر واضح في حياة الراوي " وأذهب إلى جدّي فيحدثني عن الحياة قبل أربعين عاماً، قبل خمسين عاماً، لا بل قبل ثمانين، فيقوى إحساسي بالأمن، كنت أحب جدّي، ويبدو وأنه كان يؤثر في، لعلّ أحد أسباب صداقتي معه، أنني كنت منذ صغري تشحن خيالي حكايات الماضي، وكان جدّي يحبّ أن يحكي " (50)، فالجدّ كانت شخصيته بسيطة وتقليدية جداً، وعاش في مجتمع قروي كان ما بين قبل وبعد الاستعمار.

وهناك نسفاً ذكورياً آخر نجدّه في صديق الراوي منذ الطفولة (محبوب)، امتلكت شخصيته حضوراً واسعاً ودوراً فعالاً في الرواية، رافقت الراوي في معظم فترات حياته " كان محبوب في مثل سنيّ، قضينا طفولتنا معاً، وكنا نجلس على درجين متلاصقين في المدرسة الأولية، ولما انتهينا من مرحلة التعليم الأولى، قال محبوب هذا القدر من التعليم يكفي " (51)، فتوقف محبوب عن الدراسة في حين أكمل الراوي دراسته وسافر ولكن أصبح محبوب من الأعضاء المهمة في البلد: "وتحوّل محبوب إلى طاقة فعّالة في البلد، فهو اليوم رئيس للجنة المشروع الزراعي والجمعية التعاونية، وعضو في لجنة الشفخانة التي كادت تتم، وهو على رأس كلّ وفد يقدم " (52).

تكررت شخصية محبوب ي الكثير من فصول الرواية ذلك لسبب العلاقة الوطيدة التي تربط بينه وبين الراوي.

نجد كذلك "ود الرئيس" هو شخص عجوز، أراد الزواج من حسنة بنت محمود أرملة مصطفى سعيد، لكنها رفضت ما أدى إلى تعصبه "أخذ يتململ في مقعده وينقر الأرض في عصبية بالغة بعصاه، خلع حدائه من رجله اليمنى ولبسه عدّة مرّات، وكان يتأهب للقيام ثمّ يجلس" (53)، لكنّه أصرّ على الزواج بها فلم يسبق له أن رفض من طرف امرأة خاصّة وأنهم متمسّكين بمعتقداتهم، الرّجل رجل مهما بلغ عمره والكلام في مثل هذه الأمور بين الرّجال ولا دخل للنساء فيها، فتزوّجها وكان مصيره الموت مقتولاً من طرف (حسنة).

نتائج البحث:

يعتبر النسق الثقافي في الرواية العربية من أهم منطلقات الروائي في كتاباته باعتبار أنّ الرواية هي بوابة عبور الروائي الى المجتمع وفي ذات الوقت مرآة تعكس حياة الانسان في شتى مجالاته، فرواية موسم الهجرة إلى الشمال للطيب صالح عينة من الروايات العربية المعاصرة التي مست الحياة الاجتماعية وقرأتها وفق مقاربات وآراء النقد الثقافي، معتمدة في ذلك أساليب وأنساق شددت الباحث للولوج في غمارها، زمن خلال هذا نلمس:

- أنواع مختلفة من الأنساق في رواية موسم الهجرة إلى الشمال منها: النسق الاجتماعي ، النسق الألائوي والذكوري، النسق الديني، النسق السياسي... إلخ.
- تعدّ رواية "موسم الهجرة إلى الشمال" من الأعمال العربية الأولى التي تناولت لقاء الثقافات وتفاعلها.
- النسق في اللّغة العربية لا يخرج عن مفهوم النظام والتلاؤم والتتابع والترابط إذ إنّ عناصره متتابعة ومربوطة ببعضها البعض.
- إنّ الثقافة ظاهرة مركبة ذات صيغة تأليفية، وهذا ما جعلها تصبح ذات عناصر فاعلة بعضها سلوكي وبعضها مادي.

الهوامش

1. ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، لبنان، ط 1، ج 6، 1917، ص 19.
2. سورة البقرة: الآية (191).
3. سورة الممتحنة: الآية (2).
4. ابن منظور، لسان العرب، حرف التاء - (ث ق ف)، ص 684 - 685.
5. سلامة موسى، الثقافة والحضارة، مجلّة الهلال، القاهرة، ديسمبر 1927، ص 52.

6. محمد حسن غامري، المدخل الثقافي في دراسة الشخصية، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، مصر، دط، 1979، ص 6.
7. تيري إيجلتون، فكرة الثقافة، تر: شوقي جلال، مكتبة الأسرة، القاهرة، مصر، دط، 2012، ص 12.
8. مجموعة من الكتاب، نظرية الثقافة، تر: د.علي سيد الصاوي، مراجعة: الفاروق زكي يونس، سنة 1978، ص 9.
9. ابن منظور، لسان العرب، تح: عبد الله الخيز وآخرون، مادة (ن س ق) دار المعرفة، القاهرة، د.ط، مج 5، ص 4013.
10. مجموعة من الأساتذة، معجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، مصر، ط 4، 2004، ص 918-919.
11. الخليل بن أحمد الفراهيدي، معجم العين، تحقيق عبد الحميد هندواوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ج 4، 2003، ص 1، ص 127.
12. يُنظر: عبد الله الغدامي، التقد الثقافي- قراءة في الأنساق الثقافية العربية -، مركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، ط 3، 2005، ص 76.
13. جميل حدواوي، نحو نظرية أدبية ونقدية جديدة - نظرية الأنساق المتعددة-، دار الزين للطبع والنشر الإلكتروني، تطوان، المملكة المغربية، ط 1، 2013، ص 9.
14. محمد فتاح، التشابه والاختلاف نحو منهجية شمولية، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، ط 1، 1926، ص 158.
15. الغدامي، التقد الثقافي. ص 77.
16. عبد الفتاح أحمد يوسف، لسانيات الخطاب وشروط الثقافة، الدار العربية للعلوم، بيروت، لبنان، ط 1، 2010، ص 150.
17. الغدامي، التقد الثقافي. ص 79-80.
18. محمد علي التهانوي، كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، لبنان، ط 1، 1996، ص 814.
19. أدبث كريزويل، عنصر البنيوية، ترجمة جابر عصفور، دار سعاد الصباح، الكويت، ط 1، 1993، ص 411.
20. السعيد زعباط، التخييل السياسي في الرواية الجزائرية المعاصرة، مجلة العلوم الإنسانية، جامعة الإخوة منتوري، قسنطينة، الجزائر، ج أ، 2018، ص 342.
21. ابن منظور، لسان العرب، ج 1، ص 229.
22. فاطمة حسين العفيف، لغة الشعر النسوي العربي المعاصر، عالم الكتب الحديث، ط 1، 2011، ص 18.
23. نادر القنت، إشكالية المصطلح في المسرح النسائي، مجلة البيان، رابطة الأدباء، الكويت، عدد 401، 2003، ص 130.
24. مجمع اللغة العربية، معجم الوسيط، جمهورية مصر العربية، ط 4، (مادة الذكر)، ص 313.
25. الغدامي، التقد الثقافي. ص 94.
26. محمد بوعزة، تحليل النص السردي (تقنيات ومفاهيم)، دار الأمان، الجزائر، ط 1، 2010، ص 99.
27. نبهان حسون السعدون، شعرية المكان في القصة القصيرة جداً، قراءة تحليلية في المجموعات القصصية، دار تموز، دمشق، ط 1، 2012، ص 19.
28. حلوز جيلالي، علاقة الأنا والآخر في فلسفة جون بول سارتو، مجلة لوغوس مخبر الفينو مينولوجيا وتطبيقاتها، جامعة تلمسان، العدد 9، 2018، ص 22.
29. ماجدة حمودة، إشكالية الأنا والآخر (نماذج روائية عربية)، عالم المعرفة، الكويت، د.ط، مارس 2013، ص 17.
30. يُنظر: عبد المقصود عبد الكريم، جاك لا كان وإغواء التحليل النفسي، دار المجلس الأعلى للثقافة، د.ط، د.ب، 1999، ص 98.
31. الطيب صالح، موسم الهجرة إلى الشمال، دار العودة بيروت ط 13، 1981، ط 14 سنة 1987، ص 82.

32. م. ن. ، ص 27.
33. م. ن. ، ص 130.
34. م. ن. ، ص 132.
35. م. ن. ، ص 126.
36. م. ن. ، ص 126.
37. م. ن. ، ص 34.
38. م. ن. ، ص 126.
39. م. ن. ، ص 126.
40. م. ن. ، ص 126.
41. م. ن. ، ص 126.
42. م. ن. ، ص 127.
43. م. ن. ، ص 139.
44. م. ن. ، ص 30.
45. م. ن. ، ص 25.
46. م. ن. ، ص 19.
47. م. ن. ، ص 21.
48. م. ن. ، ص 05.
49. م. ن. ، ص 05.
50. م. ن. ، ص 09.
51. م. ن. ، ص 89 - 90.
52. م. ن. ، ص 90.
53. م. ن. ، ص 89.

المصادر و المراجع

- القرآن الكريم برواية ورش عن نافع.
- ابن منظور، لسان العرب، مادة (ث ق ف) دار صادر، بيروت، لبنان، ط 1، ج 6، 1917.
- ابن منظور، لسان العرب، تح: عبد الله الخيز وآخرون، دار المعرفة، القاهرة، د.ط، مج 5.
- إبراهيم أنيس وآخرون، معجم الوسيط، معجم اللّغة العربية، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، مصر، ط 4، 2004.

- أدب كريسويل، عنصر البنيوية، تر: جابر عصفور، دار سعاد الصباح، الكويت، ط 1، 1993.
- الخليل بن أحمد الفراهيدي، معجم العين، تحقيق عبد الحميد هندراوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ج 4، 2003.
- السعيد زعباط، التّخيل السياسي في الرّواية الجزائريّة المعاصرة، مجلّة العلوم الإنسانيّة، جامعة الإخوة منتوري، قسنطينة، الجزائر، ج أ، 2018.
- الطيب صالح، رواية موسم الهجرة إلى الشمال، دار العودة، بيروت، لبنان، ط 13، 1981، ط 14 سنة 1987.
- تيري إيجلتون، فكرة الثقافة، تر: شوقي جلال، مكتبة الأسرة، القاهرة، مصر، دط، 2012.
- حلوز جيلالي، علاقة الأنا والآخر في فلسفة جون بول سارتو، مجلّة لوغوس مخبر الفينو مينولوجيا وتطبيقاتها، جامعة تلمسان، العدد 9، 2018.
- جميل حمداوي، نحو نظرية أدبية ونقدية جديدة- نظرية الأنساق المتعددة- دار الزين للطبع والنشر الإلكتروني، تطوان، المملكة المغربية، ط 1، 2013.
- سلامة موسى، الثقافة والحضارة، مجلّة الهلال، القاهرة، ديسمبر 1927.
- عبد الفتاح أحمد يوسف، لسانيات الخطاب وشروط الثقافة، الدار العربية للعلوم، بيروت، لبنان، ط 1، 2010.
- عبد الله الغدامي، التّقد الثقافي - قراءة في الأنساق الثقافيّة العربيّة -، مركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، 2005.
- عبد المقصود عبد الكريم، جاك لا كان وإغواء التّحليل النفسي، دار المجلس الأعلى للثقافة، د.ط، د.ب، 1999.
- فاطمة حسين العفيف، لغة الشعر النسوي العربي المعاصر، عالم الكتب الحديث، ط 1، 2011.
- ماجدة حمودة، إشكالية الأنا والآخر (نماذج روائية عربية)، عالم المعرفة، الكويت، د.ط، مارس 2013.
- محمد بوعزة، تحليل النصّ السردي (تقنيات ومفاهيم)، دار الأمان، الجزائر، ط 1، 2010.
- محمد حسن غامري، المدخل الثقافي في دراسة الشخصية، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، مصر، دط، 1979.
- محمد علي التهانوي، كشف اصطلاحات الفنون والعلوم، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، لبنان، ط 1، 1996.
- محمد فتاح، التشابه والاختلاف نحو منهجية شمولية، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، ط 1، 1926.

- مجموعة من الكتاب، نظرية الثقافة، تر: د.علي سيد الصاوي، مراجعة: الفاروق زكي يونس، سنة 1978.
- مجمع اللّغة العربية، معجم الوسيط، جمهورية مصر العربية، ط 4، (مادة الذكر). سنة 2005
- نادر القنة، إشكالية المصطلح في المسرح النسائي، مجلة البيان، رابطة الأدباء، الكويت، عدد 401، 2003.
- نبهان حسون السعدون، شعرية المكان في القصّة القصيرة جدًّا، قراءة تحليلية في المجموعات القصصية، دار تموز، دمشق، ط 1، 2012.